﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الرَّبطُ بين تثبيتِ اللهِ للقلوب والأقدام، وبَينَ دعمِ الصَّفوةِ من الملائكة الكرام

لَمّا ذَكَرَ اللهُ سُبحانَهُ حِكْمَةَ إمدادِه أهلَ الإيمانِ بالملائكَةِ، وما تَلاهُ مِنَ الآثارِ المُثَبِّتَةِ لِلْقُلوبِ والأقْدامِ؛ ذَكَرَ في هذه الآيَةِ ما أمَرَ به ذلكَ المَدَدَ مِنَ التَّثْبيتِ بالقَوْلِ والفِعْلِ، فقال ﷻ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1]، وذلك "بأن يُثبِّتوا المسلمين، ويُقووا قلوبهم، فيلهموهم تَذكُّر وعْدِ اللّه لرسوله بالنَّصر، وأنَّه تعالى لا يُخلف الميعادَ، وأنَّه تعالى سيجعل الرُّعب يستولي على قلوب المشركين فيصيبهم الفَزَعُ"[2]، وفي ذلك دعمٌ لأوليائه، ودحرٌ لأعدائه، كما وعَدَ في كتبِهِ المنزلة، وشرائعه المرسلة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُوحِي﴾: الواوُ والحاءُ والحرفُ المعتلُّ، تدورُ تصاريفُهُ على إلقاءِ عِلْمٍ على وجْهِ الإخفاءِ، ومنه: الوحيُ؛ وهو الإشارَةُ، وكلُّ ما ألقاهُ أحدٌ إلى غيرِه حتَّى عَلِمَهُ؛ فهو وحْيٌ[3]، وأصلُ الوَحْيِ: الإشارَةُ السَّريعَةُ[4]، والوَحيُ مِنَ اللهِ سُبحانَهُ يكونُ بالإنْباءِ، ويكونُ بالإلهامِ[5]، وسُمّيَ ما يوحيه اللّهُ تعالى إلى أنبيائِه وحيًا؛ لأنَّ المَلَكَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 237/8.
(2) أسعد حومد، أيسر التفاسير، ص: 173.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وحى).
(4) الرّاغب، المفردات: (وحى).
(5) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (وحي).

أخفاهُ عَن جَميع الخَلْقِ، وخصَّ به النَّبيَّ المَبْعوثَ إليه[1]، ومعنى قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿يُوحِي رَبُّكَ﴾: يُلْقي إليهم مِن وجْهٍ يَخْفَى[2].

2) ﴿فَثَبِّتُواْ﴾: الثّاءُ والباءُ والتّاءُ، تدلُّ اشتقاقاتُها على دوام الشَّيءِ[3]، ومنه الثَّباتُ وهو ضِدُّ الزَّوالِ، ويُطْلَقُ الثَّباتُ علَى النَّفْسيِّ، بمعنَى: سُكونِ القَلْبِ[4]. والتَّثْبيتُ مصدَرٌ بزِنَةِ التَّفعيلِ، وهو دالٌّ على الجَعْلِ، فقولُ القائلِ: ثبَّتَهُ، أي: جَعَلَهُ ثابتًا، ومنه قولُ اللّه تعالى: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فإنَّ المرادَ بالتَّثبيتِ: إزالَةُ الاضْطِرابِ النَّفْسيِّ[5].

3) ﴿ٱلرُّعْبَ﴾: الرّاءُ والعينُ والباءُ، تدلُّ كثيرٌ مِن تصْريفاتِها على معنى الخَوْفِ[6]، والرُّعْبُ: الخَوْفُ والفَزَعُ، تقولُ: رَعَبْتُهُ فهو مرعوبٌ؛ إذا أفْزَعْتَهُ[7]، وفُسِّر الرُّعْبُ بأنَّه أشدُّ الخَوْفِ لا مُطْلَقُهُ[8]، وقال الرّاغِبُ: (الرُّعْبُ: الانْقِطاعُ مِن امْتلاءِ الخَوْفِ)[9]، والرُّعْبُ في قولِ اللّه تعالَى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ هو الخَوْفُ الشَّديدُ الذي يَمْلَأُ القَلْبَ[10].

4) ﴿بَنَانٍ﴾: الباءُ والنّونُ، تدلُّ علَى امْتدادِ الشَّيْءِ اللَّطيفِ مِن أصْلِه أو فيه، ومنه البَنانَةُ، وهو: طَرَف الإصْبعِ، سُمّيَ بذلك، لأنَّه يَبْدو امْتدادًا لأصْلِه، معَ لُطْفِ هذا الامْتدادِ؛ حَيْثُ لا يَظْهَرُ الفاصِلُ بينَ الأنامِلِ[11]. والبَنانُ جمعٌ، مفردُهُ: بنانَةٌ[12]، والبنانُ قد يُطْلَقُ علَى الأطرافِ مِنَ اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ[13]. والتَّحقيقُ عندَ أهلِ اللُّغَةِ: أنَّ البنانَ أطْرافُ الأصابِعِ، والأشهَرُ إطلاقُها علَى أطْرافِ أصابِعِ اليَدِ خاصَّةً[14].

(1) الأنباريّ، الزّاهر: 341/2.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 52/10.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثبت).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ثبت).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 281/9.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رعب).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (رغب).
(8) الزَّبيديّ، تاج العروس: (رعب).
(9) الرّاغب، المفردات: (رعب).
(10) رشيد رضا، تفسير المنار: 509/9.
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بنن).
(12) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بنّ).
(13) الواحديّ، التّفسير البسيط: 55/10.
(14) الشّنقيطيّ، العذب النّمير: 553/4 - 554.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الـوحـيُ إلى الملائكة بتثبيتِ المؤمنين بالإيقانِ بنصر أوليائه ودخرِ أعدائه

إذْ يوحي ربُّكَ - أيُّها الرَّسولُ الكريمُ - إلى الملائكَة الذينَ أمدَّ اللّهُ تعالَى بهم أهلَ الإيمانِ في غَزْوَةِ بَدْرٍ: أنَّي معَكُمْ؛ أُعينُكُم وأنْصُرُكم، فقوّوا عزائمَ المُؤْمنينَ، سَأُلقي في قلوبِ الذينَ كفَروا الخَوْفَ الشَّديدَ والذِّلَّة والصَّغار، وأملؤُها فرَقًا حتَّى ينهَزِموا عَنْكُم، فاضْرِبوا - أيُّها المُؤْمنونَ - رُؤوسَ الكُفّار، واضْرِبوا منهم أطرافَ الأصابِع الَّتي بها إحكامُ قبضَةِ السِّلاحِ[1]، وهذه نِعْمةٌ خفيَّةٌ، أظْهَرها اللّه تعالى للمؤمنين، كيما يشكروه على ما خبَّأ لهم من نُصرةٍ ودَعْمٍ وتأييد، بوحيه العلويِّ إلى الملائكة الَّذين أرسلهم لهذه المهمَّة العظمى، ليقوموا بتقويَةِ القلوب، والتَّذكيرِ بوَعْدِ علّام الغيوب الَّذي تعهَّد بنصر رسله والمؤمنين، وذلك ما لا ريب فيه؛ لأنَّ اللّه لا يخلف الميعاد، وقد أظهر ذلك في غزوة بدرٍ، كما أمَرَ وأراد[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصْلِ قَوْلِه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:

تَـخْـصـيـصُ الخِطابِ بالنَّبيِّ الـقـدوةِ ﷺ بَعْدَ تَعْميمِه لِلْمُؤْمِنينَ

فُصِلَ قولُ اللّه ﷻ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ عمّا قَبْلَهُ؛ لوقوعِه استئنافًا، فـ (إذْ) في موضعِ نصبٍ بفعلٍ محذوفٍ، تقديره: اذكُرْ[3]، وجَوَّزَ بعضُ أهلِ العِلْم أن يكونَ بَدَلًا ثالثًا من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾[4]، إلّا أنَّ في هذا التَّجويزِ نظرًا؛ إذْ يُبْعِدُهُ تخصيصُ الخِطاب بالنَّبيِّ ﷺ[5]، وكَوْنُ الجملةِ مستأنفةً أقْوَى.

دِلالَةُ إيجازِ الحَذْفِ في قَوْلِه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:

﴿إِذْ﴾ من قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، ظرفُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 428/13 - 431، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 178.
(2) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 173.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 10/4.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 237/8.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 165/5.

زمانٍ مبنيٌّ علَى السُّكون متعلِّقٌ بفعلٍ محذوفٍ، تقديرُهُ: اذكُرْ، مرادًا بهِ النَّبيُّ ﷺ، فيكونُ في الآيةِ إيجازٌ بالحذفِ؛ إذْ قد حُذِفَ الفعلُ وفاعلُهُ، وهو (اذْكُرْ)، وتقديرُ هذا الفِعْلِ يَسْتَلْزِمُ تَذْكيرًا متجدِّدًا بمضمونِ هذا الوَحْيِ.

التَّذْكيرُ المُتَجَدِّدُ بمَضْمونِ الوَحْيِ، يوجِبُ تَجْديدَ شُكْرِ اللهِ تَعالَى عليه

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالمُضارِعِ في قَوْلِه: ﴿إِذْ يُوحِى﴾:

جاءَ التَّعبيرُ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يُوحِى﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، وهو دالٌّ في الأصْلِ على الحالِ أوِ الاسْتِقبالِ، وهذا الإيحاءُ الخاصُّ أمرٌ ماضٍ؛ لكونِ السّورَةِ نازلَةً بعد وقْعَةِ بَدْرٍ، ومعَ ذلك، فإنَّ النَّظْمَ القرآنيَّ لَم يَرِدْ: (إذ أوحَى ربُّكَ إلى الملائِكَةِ)، ونُكْتَةُ ذلك: حكايَةُ الحالِ الماضيةِ اسْتِحْضارًا لِعَظيمِ المِنَّةِ بها.

عَظيمُ مِنَّةِ اللهِ تَعالَى على أهْلِ الإيمانِ في بَدْرٍ الكبرى

سِرُّ التَّعبيرِ بلفظ (الرَّبِّ) في قَوْلِه: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ﴾:

في التَّعبيرِ بالاسْمِ الأحْسَنِ (الرَّبِّ) في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إشعارٌ بأنَّ إيحاءَ اللهِ تعالى إلى الملائكَةِ بتثبيتِ أهل الإيمانِ هو مِن مقتضَياتِ رُبوبيَّتِه وإحسانِه بهمْ[1]، وهَذِه تربيَةٌ خاصَّةٌ؛ لأنَّ فيها دَفْعًا للصَّوارِفِ والعوائقِ الحائلَةِ بينَهُم وبينَ الإيمانِ.

دَفْعُ الصَّوارِفِ عنِ الإيمانِ مِنَّةُ اللهِ تَعالَى على عِبادِه في كلِّ آنٍ

نُكْتَةُ إضافَةِ اسْمِ الرَّبِّ إلى ضَميرِ الخِطابِ في قَوْلِه: ﴿رَبُّكَ﴾:

أُضيفَ الاسمُ الأعظم (الرَّبّ) إلى ضميرِ الخِطابِ المُرادِ بهِ النَّبيُّ ﷺ، في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ لنُكْتَتَيْنِ[2]: إحداهُما: مُلاءَمَةُ ما تقدَّم مِن قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 9]، والأُخْرَى: فيه من التَّنويه بقدرِ النَّبيِّ ﷺ، إيماءً إلى أنَّه فعَلَ ذلك لُطْفًا بهِ، ورفعًا لشأنِه.

لُطْفُ اللهِ تَعالَى بنَبيِّه المصطفى، والتَّنْويهُ بقدرِه الأوفَى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 237/8.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 280/9.

سِرُّ تَخْصيصِ الخِطابِ بالنَّبيِّ الأوّاب في قَوْلِه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾:

تخصيصُ النَّبيِّ بالخطابِ وحدَهُ تكريمٌ لجنابه الكريم وهَذيه

خُصَّ الخطابُ بالنَّبيِّ ﷺ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، بعد تعميمِه قَبْلُ، في نَحْوِ قولِه تعالَى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾، وقولِه ﷻ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، وذلك أنَّ في هذهِ أشياءَ لا تُناسِبُ مقامَ النُّبوَّةِ، ولَكِنْ لمّا وردَ ذِكْرُ الوَحْيِ إلى الملائِكَةِ؛ جيءَ بالخِطابِ للنَّبيِّ ﷺ؛ تشريفًا لَهُ وتَكْريمًا بمواجَهَتِه بالخِطابِ وحْدَهُ[1]، وفيه تلطُّفٌ به ﷺ، حيثُ كانَتْ هذه الآيةُ مُفصِّلَةً عمَلَ الملائكَةِ في بَدْرٍ، وما خاطبَهُم اللهُ تعالَى بِهِ، فكان تخصيصُ الخطابِ بالنَّبيِّ ﷺ أحْرَى؛ لكونِهَ أحقَّ مَنْ يَعْلَمُ هذا العِلْمَ، ثُمَّ يحصُلُ لِلْمُسْلِمينَ هذا العِلْمُ تَبَعًا لهُ[2]، وقد "خوطب به النَّبيُّ ﷺ بطريق التَّجريدِ، حسبما تنطِق به (الكافُ)، لِما أنَّ المأمورَ به، ممّا لا يستطيعه غيرُه ﷺ، فإنَّ الوحيَ المذكورَ، قبل ظهورِه بالوحي المتلوِّ على لسانِهِ ﷺ، ليس من النِّعم الَّتي يقف عليها عامَّةُ الأمَّةِ"[3].

دِلالَةُ (ال) في لفظ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:

مُشارَكَةُ المَلائِكَةِ في غَـزْوَةِ بَـدْرٍ، كانت إمّا قِتالًا وإمّـا مَـدَدًا وتَأْييدًا

اللّامُ في ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ مِن قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، يُرادُ بها العَهْدُ العِلْميُّ، وهمُ الملائِكَةُ الَّذينَ شاركوا المُسلمينَ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، سواءٌ أكان ذلك على جِهَةِ القِتالِ أم على جِهَةِ المَدَدِ والتَّأييدِ، وجدير بالذِّكر أنَّ اللّه تعالى، قد أوحى إلى الملائكة أنْ يُثَبِّتوا المؤمنين، بنصرهم وتبشيرِهم بالنُّصرة،

وقد روي أنَّ الملائكة يتشبَّهون بالرِّجال الَّذين يعرفونهم بوجوههم، ويمشون بين الصَّفين يوم بدر، فيقول أحدهم: أبشروا فإنَّ اللّه تعالى ناصرُكم"[4].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 284/5، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 10/4.
(2) ابن عاشو، التّحرير والتّنوير: 280/9.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 10/4.
(4) الجاويّ، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: 419/1.

نكتةُ فصلِ قوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ عمّا قبلها:

مضمونُ الإيحاء هو معيَّةُ الله القريبُ الَّتي من اعتمدَ عليها لا يخيب

فُصِلت هذه الجملةُ عن سابقتها، إمّا لكمال اتِّصالها بها؛ لأنَّها بدلٌ منها ومفسِّرةٌ لها، أو للاستئناف البيانيِّ جوابًا عن سؤال مقدَّرٍ في الذِّهن: ماذا أوحى الله إلى الملائكة؟ ومفاد ذلك قوله له: "اذكر - أيُّها النَّبيُّ - ومن معك، وحْيَ الله تعالى المستمر الَّذي لا ينقطع إلى الملائكة، أنَّ الله معكم أيُّها الملائكة، في تأييدهم للمؤمنين، فهو سبحانه ﷻ في ملكوته الأعلى، معكم في تأييد المؤمنين وتثبيت قلوبهم"[1].

سِرُّ التَّأْكيدِ في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾:

تأكيدُ معيَّةِ اللهِ تعالَى لأهْلِ الإيمانِ نصْرٌ وتأييد وأمان

أُكِّدَت جملةُ تفسيرِ الإيحاءِ بـ (أنَّ)، والجملة الاسميَّة في قوله ﷻ: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ تأكيدًا لحصولِ معيَّةِ اللهِ تعالى لأهل الإيمانِ، بنَصْرِهم وتأييدِهم، وطَمْأنَةً لِقُلوبهم ليَشْتَدَّ ثباتُهُم عند لِقائِهم عَدوَّهُم.

بَلاغَةُ الالتِفاتِ:

التَّصْريحُ بالتَّكَلُّمِ أبْلَغُ في تَحْقيقِ العَظَمَةِ والسُّموِّ والمَهابَةِ

في قولِ اللهِ جلَّ وعلا: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ التفاتٌ مِنَ الغَيبَةِ إلى التَّكلُّم، وذلك أنَّ قولَهُ سُبحانَهُ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾ واردٌ على أُسلوبِ الغَيْبَةِ؛ إذ الاسْمُ الظّاهرُ بمنزلَةِ الغَيْبَةِ، ثُمَّ حوِّلَ التَّعبيرُ إلى التَّكلُّم في قولِه تعالَى: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾، وقد كانَ مُقْتَضَى الظّاهرِ: (إذْ يوحي ربُّكَ إلى المَلائكَةِ أنَّهُ معَكُمْ)، ونُكْتَةُ العدولِ مِنَ الغَيْبَةِ إلى التَّكلُّم: ما في التَّصريحِ بالتَّكلُّم مِنَ العَظَمَةِ والبرَكَةِ والمَهابَةِ.

دِلالَةُ المَعيَّةِ في قَوْلِه: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾:

مِن مَعيَّةِ اللهِ تَعالَى لِأَهْلِ الإيمانِ: إزالَةُ الخَوْفِ عنهم

المَعيَّةُ في قَوْلِه سُبحانَهُ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾، جائزٌ أنْ يكونَ المرادُ، أنَّ اللهَ تعالَى أوحَى إلى المَلائكَةِ، أنَّهُ معَهُم حالَ إرْسالِهم رِدْءًا لِلْمُسْلِمينَ، ويجوزُ أن يكونَ المُرادُ: أنَّ اللهَ ﷻ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3080/6.

أوحَى إلى الملائكَة أنَّه معَ المُؤمِنينَ. والثّاني أظْهَرُ؛ لأنَّ المَقْصودَ مِن هذا الكَلامِ إزالَةُ الخَوْفِ، والملائِكَةُ لَم يخافوا مِنَ الكُفّارِ حتَّى يُحتاجَ إلى إزالتِه منهمْ[1].

دِلالَةُ (الفاءِ) في قَوْلِه: ﴿فَثَبِّتُواْ﴾:

الفاءُ في قولِه ﷻ: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يُرادُ بها تَرْتيبُ ما بعدَها علَى ما قَبْلَها؛ وذلك أنَّ إمدادَهُ سُبحانَهُ إيّاهُم مِن أقْوَى موجباتِ التَّثْبيتِ[2]، ويَحْتَمِلُ أنْ تَكونَ الفاءُ فصيحةً، فقد أفْصَحَت عن شَرْطٍ مقدَّرٍ، والتَّقديرُ: إذا كان اللّه سُبحانَهُ معكُم في هذا التَّأييدِ، فثبِّتوا الَّذين آمنوا[3]، وهذا علَى القَوْلِ بأنَّ المعيَّةَ للملائِكَةِ وهو خِلافُ الأولَى.

إمْـــدادُ الـلـهِ تَـعـالَى عِـبـادَهُ بـالمَـلائِـكَـةِ مِـن أقْـوَى موجِباتِ التَّثْبيتِ

بَراعَةُ المَجازِ في قَوْلِه: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

التَّثْبيتُ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مجازٌ في إزالَةِ الاضْطِرابِ النَّفسانيِّ الَّذي ينشَأُ عن الخَوْفِ وعَدمِ استقرارِ الرَّأْيِ واطمئنانِه[4]، والمطلوب بتثبيت الَّذين آمنوا، أنْ "قوّوا عزائم المؤمنين، وثبِّتوا قلوبَهم، أي: اجعلوا قلوبهم، كأنَّها مربوطةٌ عليها، فلا يخافون أيَّةَ أغيارٍ مِن عدوِّهم"[5].

المُـرادُ بالتَّثْبيتِ إزالَةُ الاضْطِرابِ النَّفْسيِّ النّاشِئِ عَـنِ الـخَـوْفِ والاضطراب

سِرُّ التَّعْبيرِ بالاسْمِ المَوْصولِ في قَوْلِه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

عُرِّفَ المُثَبَّتونَ بالاسْمِ المَوْصول (الّذي) في قَوْلِه ﷻ: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لِما تدلُّ عليه جُمْلَةُ الصِّلَةِ ﴿ءَامَنُواْ﴾ مِن التَّعليل، فإيمانُهم هو الباعِثُ على هذه العنايَةِ[6]، وفي هذا حثٌّ على تحْصيلِ

العِنايَةُ الإلَهيَّةُ بالمؤْمِنينَ، تَكونُ بقدرِ ما حَصَّلوهُ مِنَ الإيمانِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 463/15.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 10/4.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3080/6.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 281/9.
(5) الشّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 4600/8.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 281/9.

هذا الوَصْفِ ليَتَحقَّقَ لأصحابِها مِنَ العنايَةِ بقدرِ ما حصَّلوهُ منه، وهو يقول للمؤمنين: "إيّاكم أنْ تظنّوا أنَّ كثرةَ العدَدِ أو قوَّةَ العُدَدِ، هي الَّتي تَصْنعُ النَّصرَ، بل النَّصرُ دائمًا من عند الله تعالى وهو سبحانه القائل: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 249]"[1].

عِلَّةُ فصْلِ قَوْلِه: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

كِفايَةُ اللهِ سُبحانَهُ المُسْلِمينَ تَخْذيلَ الكافِرينَ، بما لا يدخل في مهمَّة الملائكةِ

فُصِلَ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عَمّا قَبْلَهُ؛ لوقوعِه بيانًا، فبينه وبينَ ما قَبْلَهُ كمالُ الاتِّصالِ، وذلك أنَّ قولَهُ سُبحانَهُ: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، واردٌ على سَبيلِ بيانِ المعيَّةِ في قولِه قَبْلُ: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾[2]. ويُجوزُ أن تكونَ الجُمْلَةُ استئنافًا ابتدائيًّا جاريةً مجرَى التَّعليلِ، لإفادَةِ التَّثبيتِ[3]، والأظْهَرُ أنَّ هذا الاسْتِئنافَ مُرادٌ به إخبارُهُم بما يَقْتضي التَّخفيفَ عَنْهم في العملِ الَّذي أمَرَهُم اللهُ تعالى بهِ؛ وذلك بأنْ كفاهُمُ اللهُ سُبحانَهُ تخذيلَ الكافِرينَ بعمَلٍ آخَرَ غيرِ الَّذي أمَرَ به الملائِكَةَ، وعلَى هذا فليستِ الجملَةُ بيانًا للمعيَّةِ في قولِه: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾[4].

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بـ ﴿سَأُلْقِي﴾ دونَ (سَنُلْقي):

قهْرُ اللهِ يرعب الجبابرةَ والكفرة، وأصحاب العتوِّ والطُّغيان والأَثَرة

في قولِه: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ جاءَ التَّعبيرُ بـ ﴿سَأُلْقِي﴾ دون (سَنُلْقي)، مع أنَّ النّونَ أدْخَلُ في الدِّلالَةِ على التَّعظيمِ؛ دفعًا لِتوهُّمِ أنْ يكونَ لِلملائكَةِ المخاطَبينَ سببٌ في إلقاءِ الرُّعْبِ في قلوبِ الكافرينَ[5]، وما في ﴿سَأُلْقِي﴾ مِنَ الإشعارِ بعَظَمَةِ هذا الإلقاءِ؛ إذْ تكفَّلَ اللهُ تعالى به، فعظَمَةُ اللهِ كفيلةٌ بإرعاب

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 4600/8.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 237/8.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 166/5.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 10/4.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 282/9.

الكفرة، مهما كانت سَطْوَتُهم، ومهما زعموا من قوَّةٍ، أو ادَّعوا من غلبةٍ وقهر، فالله من ورائِهم محيطٌ.

تَوْجيهُ المُتشابه اللَّفْظيّ:

دِقَّـــةُ الـبَـيـانِ القرآنيِّ في انْتِقاءِ الألفاظِ المُلائِمَةِ لِسياقاتِها

قالَ الله ﷻ: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: 12]، وقال ﷻ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران: 151]، ووجهُ المغايَرَةِ بينَهُما أنَّ آيةَ آلِ عمرانَ سُبِقَتْ بقولِ الله جلَّ وعلا: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران: 150]، فلَمّا كان مُقتضَى الظّاهرِ فيها أن يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (سيُلْقي في قلوب الذين كفَروا الرُّعْبَ)، لكن لمّا كان الوَعْدُ من المتكلِّم الحاضِر المعتزِّ بنفسِه أدْعَى للثِّقةِ، وكان نونُ العظَمَةِ أدلَّ على هذا المعنى؛ ناسبَهُ قولُهُ سُبحانَهُ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: 150]، بخلاف آيةِ الأنفالِ، فإنَّه عُدِلَ فيها عن ضمير العظَمَةِ، لئلّا يُفْهَمَ دخولُ الملائِكَةِ في فِعْلِ الإلقاءِ، كما تقدَّم.

بديعُ الطِّباقِ في الآية:

إظْهارُ شَرَفِ أهْلِ الإيـمـانِ وبَـيـانُ حَـقـارَةِ أهْـلِ الكُفْران

في قولِ الله ﷻ: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ طباقُ إيجابٍ، بينَ ﴿ءَامَنُواْ﴾ و﴿كَفَرُواْ﴾، وفي ذلك إظهارٌ لشَرَفِ أهلِ الإيمانِ، وعظيمِ منزلَتِهم، وبيانٌ لحقارَةِ أهلِ الكُفْرِ وانحطاطِ رُتْبَتِهم؛ وذلك أنَّ الضِّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ أو قُبْحَهُ ضِدُّهُ.

دِلالَةُ الأمْرِ في قَوْلِه: ﴿فَٱضْرِبُواْ﴾:

تَأْييدُ اللهِ تَعالَى عِبادَهُ المُؤْمِنينَ بالمَلائِكَةِ مُشاركةٌ لهم وتسديدٌ

الفاءُ للتَّرتيب والتَّعقيب، والأمْرُ في قولِ اللهِ جلَّ وعلا: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾، يُرادُ به الإخبارُ عَنْ صورَةِ الحالِ، (كما تقولُ إذا وصَفْتَ حَرْبًا لِمَن تُخاطِبُهُ: لَقينا القَوْمَ وهَزَمْناهُم، فاضْرِبْ بسَيْفِكَ

حَيْثُ شِئْتَ، واقْتُل وخُذْ أسيرَكَ؛ أيْ: هذه كانَتْ صِفَةَ الحالِ)[1]، ويَجوزُ أن يكونَ أمْرًا على بابه، وفي المأمورِ بهذا قولانِ[2]: أحدهُما: أنَّهم المُسْلِمونَ، ويكونُ في هذا التفاتٌ في الخِطابِ مِنَ الملائكَةِ إلى المؤمنينَ[3]، وهذا القولُ فيهِ بُعْدٌ؛ لأنَّ هذهِ السّورةَ نَزَلَتْ بَعْدَ انتهاءِ المعرَكَةِ. والآخَرُ: أنَّهمُ المَلائِكَةُ، فقد أُمِروا بقطْعِ الأعناقِ والأصابعِ على كيفيَّةٍ مخالِفَةٍ لما جرَتْ به العادَةُ، وعلى هذا فيكونُ إسنادُ الضَّرْبِ إليهم حقيقةً، وهذا أقْوَى[4]. ويجوزُ أن يكونَ المرادُ تسديدَ ضرباتِ أهلِ الإيمانِ، وتوجيه المُشْرِكينَ إلى جِهَتِها، فيكونَ إسنادُ الضَّرْبِ إلى الملائِكَةِ مجازًا، وهو مجازٌ عَقْليٌّ، علاقتُهُ السَّبَبيَّةُ؛ إذِ الملائكَةُ كانوا سببًا في ضَرْبِ المسلمينَ أعناقَ الكُفّارِ وبنانَهُمْ.

دِلالَةُ الفَوْقيَّةِ بين الإيجازِ والكِنايَةِ:

ضـربـةُ الـحـقِّ المـؤيَّـدةُ، مكينةٌ في قـصـدهـا مسدَّدةٌ

الفَوْقيَّةُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ فيها مسالِكُ لأهْلِ العِلْمِ[5]: أوَّلُها: أن تَكونَ ﴿فَوْقَ﴾ زائدةً، والمرادُ: فاضرِبوا الأعناقَ، وهذا قولٌ ضعيفٌ؛ لأنَّ اللَّفْظَ إذا ورَدَ في القرآنِ الكريم لا ينْبَغي لأحدٍ أن يحْكُمَ عليهِ بأنَّه دونَ مَعْنًى. وثانيها: أن تَكونَ ﴿فَوْقَ﴾ بمعنى (على)، وهذا معروفٌ في لغةِ العرَبِ، فإنَّ العربَ تَقولُ: ضَرَبْتُ فلانًا على عُنُقِه، وضَرَبْتُهُ فوْقَ عُنُقِه، والمعنى واحدٌ. وعلَى هذا الوَجْهِ؛ يكونُ في الآيةِ إيجازٌ بالحذْفِ، وذلك أنَّ مَفْعولَ (اضْرِبوا) محذوفٌ، والتَّقديرُ: فاضْرِبوهُم فوقَ الأعْناقِ، أي: علَى الرِّقابِ. وثالثُها: أن يكونَ المرادُ بـ ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ الرُّؤوس، والمرادُ: فاضربوا الرُّؤوسَ، فيكونَ في هذا كنايةٌ عَنْ مَوْصوفٍ؛ وذلكَ لأنَّ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 508/2.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 283/9.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3080/6.
(4) الشِّنقيطيّ، العذب النَّمير: 538/4.
(5) الشِّنقيطيّ، العذب النَّمير: 551/4 - 552.

الرَّأْسَ من صِفَتِه أنَّه فوْقَ العُنُقِ، ونُكْتَةُ التَّعبيرِ بالكِنايَةِ وصْفُ أبلَغِ ضرَباتِ العُنُقِ وأحْكَمِها، وهيَ الضَّرْبَةُ الكائِنَةُ فوقَ عَظْمِ العُنُقِ ودونَ عَظْمِ الرَّأسِ[1].

دِلالَةُ (ال) في لفظ ﴿ٱلْأَعْنَاقِ﴾:

ذكر (ال) في ﴿ٱلْأَعْنَاقِ﴾ من قَوْلِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ يُرادُ بها بَعْضُ الجِنْسِ، فهي عهديَّةٌ، والمقصودُ: أعناقُ الكُفّار، كما يُفْهَمُ ذلكَ مِنَ السّياقِ، ويَحْتَمِلُ أن تكونَ اللّامُ عِوضًا عَنِ المُضافِ إليه، أيْ: اضربوا أعناقَهُمْ[2].

الـشِّـدَّةُ على الكُفّارِ المُحارِبينَ، عقابٌ لهم على عدوانهم المُهين

نُكْتَةُ التَّنْصيصِ على ما ﴿ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ و﴿بَنَانٍ﴾:

في قولِ اللهِ تعالَى: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ خُصَّ ما فوقَ الأعناقِ والبَنانُ بالذِّكْرِ في هذه الآية الكريمة، إيماءً إلى ضَرْبِ ما شاؤوا مِن أجسادِ الكُفّار؛ ووجهُ ذلك: أنَّ ما فوق العُنُقِ - وهو الرَّأْسُ - أشْرَفُ الأعضاء، والبنانُ عبارَةٌ عَن أضعَفِها، فذِكْرُ الأشْرَفِ والأضْعَفِ، تنبيهٌ على جميعِ الأعضاءِ؛ لأنَّ البين مُسْتَحضَرٌ في الطَّرفَيْنِ[3]. ويجوزُ أن يكونَ تخصيصُ الأعْناقِ والبَنانِ؛ لكَوْنِ ضرْبِ الأعناقِ إتلافًا لأجسادِ الكفّار، وضَرْبِ البنانِ إبطالًا لصلاحيَّةِ المضْروبِ للقِتالِ؛ إذْ إنَّ تناولَ السِّلاحِ يكونُ بالأصابِعِ[4]، فإذا ضُرِبَتِ البَنانُ؛ تعَطَّل مِنَ المَضْروبِ القِتالُ، وعَجَزَ عنِ المحاربَةِ، بخلافِ سائِرِ الأعْضاءِ[5].

ضَـرْبُ الأعْنـاقِ وضَـرْبُ البَنـانِ تعبيرٌ عن دحْرِ الظُّـلْـمِ، وقَـهْـرِ العدوان

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 508/2.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 283/9.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 463/15.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 283/9.
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 379/7.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرُّعْب والخَوْف:

الخوف أعمُّ منَ الرُّعب، والرُّعبُ أشـدُّ الـخـوف وأعلاه

الخَوْفُ: غَمٌّ يَلْحقُ العبدَ مِن توقُّعِه المكروهَ[1]، فهو خاصٌّ بالزَّمن المُسْتَقْبَل[2]، أمّا الرُّعْبُ؛ فهو أخصُّ؛ إذْ هو الخَوْفُ الشَّديدُ الَّذي يملأُ القلوبَ، وقد وردَ في القرآن الكريم في خمسَةِ مواضعَ، جميعُها دالٌّ على كونه معجزةً، فكان الأنْسَبُ في المُعْجِزَةِ أن يُعبَّر بالخَوْفِ الشَّديد المخالف لِلْعادَةِ، وقد جاءَت أربعَةُ مواضعَ مِن هذه الخَمْسَةِ في وصفِ الحَرْبِ، وما أصابَ الكُفّارَ فيها مِن خوفٍ عظيمٍ ملأَ قلوبَهُم، وهي قولُ اللّهِ ﷻ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: 151]، وقولهُ سُبحانَهُ: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال: 12]، وقولُهُ تعالَى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: 26]، وقولُهُ جلَّ وعلا: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: 2]، أمّا الموضِعُ الخامسُ؛ فقد جاءَ في سياقِ مُعجزةٍ أيضًا، وهي قصَّةُ أصحابِ الكَهْفِ، وسببُ الرُّعْبِ: ما ألبسَهُمُ اللّهُ تعالى إيّاهُ مِنَ الهَيْبَةِ، فقال سُبحانَهُ: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: 18][3].

(1) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 428.

(2) الشّنقيطيّ، العذبُ النَّمير: 284/1.

(3) مُحمّد محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 240 - 241.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»